فجر فى صحراء

تَدفَّق ينْبُوعا من النُّور هادِيَا ... فغنَّت به الصَّحراءُ: ركباً وحادِيا!
تَرامى، على أَضْوائِه كلُّ مُدلجٍ ... سَرَى فى ركاب البيدِ يحْدوا لَّياليا
وفى عَقْلهِ جُوعٌ وفى قلْبهِ صَدى ... فطوَّف جَوْعاناً، وهَوَّم صادِيا!!
يُساوِرُهُ الحِرمانُ، والليلُ راهبٌ
تجلَّلَ فى قلْبِ الفيافِى، السَّوافيا
فَلا نبأةٌ تسْرى، ولا خطْوُ طارِقٍ ... فَضاءٌ، غفَا فى كَهْبةِ اللَّيل جَاثِيا!
تسيرُ الحَيارَى، فى نواحِيه خِلْفَةً ... وَهَيْهاتَ، أَنْ تلْقى هُنالِكَ ناجِيا
أَساطِيرُ فى الصَّحْراءِ، فى وَهْمِ ذاهلٍ
تلاشَتْ، فما تلْقى لها، الدَّهرَ وَاعِيا!
تُتاحُ لهم فى كلِّ خطوٍ.. منِيَّةٌ ... وقبْرٌ ترامى، ساخِرُ اللَّحْدِ راعِيا!
وإنَّ المنايا لوْ تيَمَّمْن هالِكاً ... رأَيتَ لها فى كلِّ مَنْحىً مناحِيا
فطارُوا إلى الفجرِ النَّدىِّ رواقُه ... يُحيُّون فى ركْبِ النَّبِىِّ الأَمانيا
فطاف عليهمْ رحمةً وسكينةً ... وروَّاهمُو لحْنَ السَّماءِ مثانيا!
ترانيمُ طُهْرٍ، لو رَعَتْ قلْبَ سامعٍ ... تسَلَّى بها، خمْراً ونايًا وساقِيا!
ومازَالَ، والوَحْىُ الكريمُ يهزُّهم ... فيُرْشِدُ ضِلِّيلاً، ويوقِظُ غافِيا
صراعُ الدُّجى والنُّورِ والكُفْرِ والهُدى
يَظلُّ بأَعْماقِ الحياةِ... مآسِيا!
وإنَّ الصراعَ الحقَّ ماكانَ مُنْقذاً ... وإنَّ الكفاحَ الحقَّ ماكانَ هادِيا
تحمَّل أَعباءَ الرِّسالة قادِراً ... وقد كان قدَّيس السَّريرة، وافِيا
يُجادِلُ بالحسنَى، ويدفع بالَّتِى ... فكانَ سِلاحاً فى الهدايةِ ماضيا!

وأغوى الهوى ، قوما ، فثاروا وأوغلوا
وانَّ الهوى فى النَّفس مازال طاغيا !
وإنَّكَ تغوى إنْ أردتْ أخا هُدَى
وإنَّكَ لاتهدِى إذا شئتَ غاويا !
فهاجرَ كالحقِّ الغريب مُفزَّعا وإنَّ لهُ فوقَ السمواتِ واقيا
وقد نسخَ الصحراءُ فى خطوه رُؤَى
سماويَّةَ الألوانِ : تـــلاًّ وَوَادِيا
كأنَّ الرِّمالَ الظَّامِئاتِ خمائلٌ وإنَّ الرياحَ الصُّفرَ ، تسرى أغانينا !
وقدْ سارَ حُلْماً فِى الرَّوابى . وخاطِراً
بفكرِ اللَّيالى ، يستجيشُ معانيا !
مثاليَّةً عُليا ، وأشواقُ مُلْهَمٍ تعفَّفُ : أن يبقى على الذُّلِّ ثاويا
إذا الحقُّ جافته بأرضٍ عِصابةٌ ففى غيرها يلقَى نصيراً وَوَالِيا
لئنْ مكَّةٌ أعشت بهدى محمَّدٍ ليَثْرِبُ ، أندى ناصرينا وَنادِيا
وماهى إلاَّ عزمةٌ .. أو عقيدةٌ فدائيَّةٌ ، حتى جثا الكفرُ عانيا
وماهى إلا لفتةٌ عبقريَّةٌ تجلَّتْ فكانَ الحقُّ فى الناسِ عالِيا
إذا ماعنا الكفرُ الذَّليلُ فإنه
لعدلٌ ، من الإسلام ، إنْ جاءَ عاتيا
لئِنْ خذلوا بالأمس منطقَ هديه لقد نصروهُ اليومَ غضبانَ غازِيا
إذا السَّيفُ لم ينطقْ فقد نطقَ الهوى
وحسبُك سيفُ اللهِ فى الكفرِ قاضيا

محى الدين صابر
الطالب بدار العلوم